دلالة ألفاظ (القضاء والقدر) في السياق القرآني

هاتف بريهي شياع الثويني
الكلية التربوية المفتوحة

تتعدد دلالات الفاظ القضاء والقدر في النص القراني بحسب السياقات التي ترد فيها لان " السياق** هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها ان تدل عليها، والسياق ايضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية "[١] كما ان " السياق يحمي الالفاظ المتماثلة من خطر اللبس، وهذا يسمح بالابقاء عليها دون اضرار "[٢] و" السياق يرشد الى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة . وهذا من اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن اهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته "[٣] يظهر ذلك واضحا في القران الكريم، فالسياق القراني يجلي الالفاظ دونما لبس او ابهام وان تعددت معانيها، من ذلك خرجت الفاظ القضاء والقدر الى دلالات متعددة عينها السياق القراني، فضلا عن القرائن اللغوية والنحوية التي اعانت على تعيينها ضمن السياقات التي وردت فيها على الرغم من التلازم والتداخل بين القضاء والقدر فـ " قد ذكر بعض العلماء ان القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل "[٤] وقيل " إنّ امير المؤمنين (ع) عدل من حائط مائل الى حائط اخر فقيل له : ياامير المؤمنين تفر من قضاء الله ؟ قال : افر من قضاء الله الى قدر الله عز وجل "[٥]

أ- دلالة الفاظ القضاء في السياق القراني :

القضاء من قضى و " القاف والضاد والحرف المعتل اصل صحيح يدل على إحكام امر وانقانه وانفاذه لجهته ... والقضاء: الحكم "[٦] وقد خرجت الفاظ القضاء في القران الكريم الى معان ودلالات عدة :

١- بمعنى الامر والحكم : في قوله تعالى: "وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه "[٧] جاء فعل القضاء بمعنى أمر ربك وأوجب ووصّى[٨] على وجه الإلزام والقطع[٩] " فهو امر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك، امرٌ في صورة قضاء، فهو

** جاء في نور الكلمة في اللغة :٥٤ وفي دراسة في الاتجاه النحوية : ٦٨ " ان كلمة السياق (context) استعملت حديثا في معان مختلفة، والمعنى الذي يهمنا هنا هو معناها التعبيري، أي النظم اللغوي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، باوسع معاني هذه العبارة . والسياق على هذا التفسير ينبغي ان يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة بل والقطعة كلها ... كما ينبغي ان يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات وعناصر اخرى غير لغوية، متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، بما فيه العوامل جميعها من تاثير مباشر على المعنى "

[١] اللغة لفندريس : ٢٣١ وينظر فقه اللغة وخصائص العربية : ٨٢،٢،٧،٢،٨ والاضداد في اللغة :٥٧.

[٢] اللغة لفندريس : ٢٧٣.

[٣] بدائع الفوائد : ٩/٤.

[٤] معجم مفردات الفاظ القران :٤٢٢.

[٥] الميزان : ٧٤/١٣ .

[٦] معجم مقاييس اللغة : ٥ /٩٩ وينظر القاموس المحيط : ٣٨١/٤.

[٧] معجم مقاييس اللغة : ٥ /٩٩ وينظر القاموس المحيط : ٣٨١/٤.

[٨] الاسراء :٢٣.

[٩] ينظر العين : ١٨٥/٥ ومجاز القران : ٣٧٤/١ والصاحبي : ٢٠٢ ومعترك الاقران : ٣/ ١٧٩ والملل: ٥١/٣.

امر حتمي حتمية القضاء، ولفظة (قضى) تخلع على الامر معنى التوكيد، الى جانب القصر الذي يفيده النفي والاستثناء (الا تعبدوا الا اياه) فتبدو في جو التعبير كله ظلال التوكيد والتشديد "[١] .

٢- بمعنى الإعلام والإخبار: ترد الفاظ القضاء بمعنى الإخبار والإعلام[٢]، وبخاصة اذا عُدّيت بحرف الجر " الـى" لمـا يتضمنه من معنى الايصال وانتهاء الغاية[٣] كما في قوله تعالى: " وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن فـي الارض مرتين"[٤] و"هذا قضاء بالاعلام، أي اعلمناهم واوصينا اليهم وحيا جزما "[٥] ولم يكن قضاءً قهريا بل هـو " اخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الالهي من مالهم، لا انه قضاء قهري عليهم، تنشـأ عنه افعالهم، فالله سبحانه لايقضي بالإفساد على أحد"[٦] "فالقضاء الالهي لايسلب عنهم الاختيار الـذي عليـه مـدار المؤاخذة والمجازاة، ولا الاختيار الانساني الذي عليه مدار السعادة والشقاء يزاحم القضاء الالهـي"[٧] وفـي قولـه تعالى:" وقضينا اليه ذلك الامر "[٨] وفي قوله تعالى: "اذ قضينا الى موسى الامر"[٩] "أي اخبرناه"[١٠]. بمعنى الخلق والايجاد : في قوله تعالى: " فقضاهن سبع سماوات في يومين "[١١] دل لفظ قضاهن على الخلق، واشارة الى ايجاده الابداعي للسماوات ومافيهن[١٢].

٣- بمعنى الفصل : تأتي الفاظ القضاء بمعنى الفصل، كما في قوله تعالى " ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجـل مسـمى لقُضي بينهم"[١٣] أي "لفُصل بينهم"[١٤] وفي قوله تعالى: "وقضى بينهم بالحق"[١٥] أي فُصل بالحق[١٦] وفي قولـه تعالى : " لقضي الامر بيني وبينكم "[١٧] وفي قوله تعالى :" فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط"[١٨] وفي قولـه تعالى : "ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون"[١٩] وفي قوله تعالى :" وقضي بينهم بـالحق وقيـل

---

[١] ينظر الكشاف : ٢/٤٤٤.

[٢] في ظلال القرآن : مج ٥/ج١٥/٢٥.

[٣] معجم مقاييس اللغة : ٥/٩٩ وينظر القاموس المحيط : ٤/٣٨١.

[٤] ينظر اعراب القرآن للنحاس : ٢/٦٨ وكتاب الافعال لابن القوطية : ٢٢٤ وتفسير البيان :٢/١٧. ولطائف الاشارات : ٢/ ٣٣٦.

[٥] معاني الحروف للرماني : ١١٥ .

[٦] الاسراء : ٤.

[٧] الميزان : ٧/٣٦٣.

[٨] الحجر : ٦٦.

[٩] القصص : ٤٤.

[١٠] بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٧٧.

[١١] فصلت : ١٢.

[١٢] ينظر معجم مفردات الفاظ القرآن : ٤٢١ وبصائر ذوي التمييز : ٤/٢٧٦ وكشف المراد : ٨٧.

[١٣] الشورى : ١٤.

[١٤] بصائر ذوي التمييز :٤/٢٧٦.

[١٥] الزمر : ٦٩.

[١٦] ينظر بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٧٨.

[١٧] الانعام :٥٨.

[١٨] يونس : ٤٧.

[١٩] يونس : ٩٣.

الحمد لله رب العالمين "[١] دلت الفاظ القضاء في هذه الايات على فصل الخصومة، وغالبا ما تخرج الفاظ القضاء الى معنى الفصل في حال اقترانها بـــ – بينهم او بينكم ...–

٤- بمعنى الفراغ والتادية: تخرج الفاظ القضاء في طائفة من الايات الى معنى الفراغ والتادية . ففي قوله تعـــالى :" فـــاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله "[٢] جاء (قضيتم الصلاة) بمعنى فرغتم منها واديتموها[٣] وفي قوله تعـــالى : " فـــاذا قضيتم منسككم "[٤] أي اديتم مناسككم و" فرغتم منها"[٥] وفي قوله تعالى : " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا"[٦] أي " اذا بلـــغ البـــالغ حاجته من شيء له فيه همّة قيل قضى منه وطره، والمعنى : فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه "[٧] وفرغ منها وفي قوله تعالى :" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلمـــا حضـــروه قـــالوا أنصتوا فلما قضى ولوّا الى قومهم منذرين "[٨] أي فلما فرغ الرسول (ص) من تلاوة القران[٩]

٥- بمعنى الفعل والصنع : وردت الفاظ القضاء في ايات عدة بمعنى الفعل والصنع كما في قوله تعالى :" واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون "[١٠] أي فعل امرا وفي قوله تعالى :"فاقض ما انـــت قـــاض "[١١] " أي افعـــل مـــا انـــت فاعل"[١٢] و" اصنع ما انت صانعه ... فانا لانرجع عن الايمان "[١٣] وفي قوله تعـــالى :"ليقضـــي الله امـــرا كـــان مفعولا"[١٤] أي ليفعل "امرا كان واجبا ان يفعل "[١٥] وفي قوله تعالى :" وما كان لمؤمن ولا مؤمنـــة اذا قضـــى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم "[١٦] جاء لفظ " قضى " دالا على الفعل الواقعي[١٧] بمعنى الوقـــوع : ترد الفاظ القضاء في السياق القراني بمعنى الوقوع، كما في قوله تعالى:" قضى الامر الذي فيه تستفتيان "[١٨] أي انه وقع وتقرر وقطع وكان " مكتوبا في اللوح المحفوظ "[١٩] وفي قوله تعالى :" وقال الشيطان لما قضـــي الامـــر ان الله

---

[١] يونس : ٩٣.

[٢] النساء : ١٠٣.

[٣] بصائر ذوي التمييز : ٢٧٧/٤ والمعجم الوسيط : ٧٤٩/٢.

[٤] البقرة : ٢٠٠

[٥] ينظر مجمع البيان : ٢٩٧/٢.

[٦] الاحزاب : ٣٧.

[٧] الكشاف : ٢٦٣/٣.

[٨] الاحقاف : ٢٩.

[٩] ينظر مجمع البيان : ٩٢/٢٦.

[١٠] البقرة : ١١٧.

[١١] طه : ٧٢.

[١٢] بصائر ذوي التمييز : ٢٧٧/٤.

[١٣] مجمع البيان : ٢١/١٦.

[١٤] الانفال : ٤٢،٤٤.

[١٥] مجمع البيان : ٢١/١٦.

[١٦] الاحزاب : ٣٦.

[١٧] في ظلال القران : مج٦/ج٢٢/٢٢.

[١٨] يوسف : ٤١.

[١٩] بصائر ذوي التمييز : ٢٧٧/٤.

وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتم"[١] دل فعل القضاء على القطع والوقوع، أي ان الامر مفروغ منه، وانه واقع لا محالة[٢] وغالبا ما يدل الفعل "قضى" على الوقوع والقطع اذا جاء مبنيا للمجهول، وكان نائب الفاعل لفظ " الامر".

٦- بمعنى الإتمام والاكمال: في قوله تعالى :" قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل "[٣] قوله، جل وعلا، - ايما الاجلين قضيت- أي ايما الاجلين اتممت واكملت من الحجج الثماني والعشر[٤] بدلالة قوله تعالى:" قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك "[٥] وفي قوله تعالى :" فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا "[٦] أي اتم الاجل[٧] وفي قوله تعالى:" وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى"[٨] أي ليتم و"معناه لتستوفوا اجالكم "[٩] وتكملوها . وفي قوله تعالى :" فمنهم من قضى نحبه "[١٠] أي "اتم اجله "[١١]

٧- بمعنى الموت والقتل : ترد الفاظ القضاء في النص القراني بمعنى القتل والموت وبخاصة اذا عُدّيتْ بحرف الجر (على) وهي "من الحروف العوامل، وعملها الجر ومعناها الاستعلاء"[١٢] للدلالة على السطوة والاستيلاء والقوة والتمكن، كما في قوله تعالى :"فوكزه موسى فقضى عليه "[١٣] أي فقتله[١٤] وفي قوله تعالى:" ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك "[١٥] أي ليمتنا[١٦] او انه كناية عن الموت[١٧] .

ب : دلالة الالفاظ القدر في السياق القراني :

القدر - بسكون الدال وفتحها - مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، والتقدير من الله هو القضاء، وقدرة الله، ملكه وقهره[١٨] وقد خرج لفظ القدر وما يتصرف منه الى معان ودلالات مختلفة في السياق القراني :

١- بمعنى الشرف والعظمة : في قوله تعالى :" انا انزلناه في ليلة القدر "[١٩] دل -القدر - على " الشرف و الخطر

---

[١] ابراهيم : ٢٢.

[٢] ينظر الكشاف : ٣٧٤/٢ ومجمع البيان : ١٣ /٣١١.

[٣] القصص : ٢٨.

[٤] ينظر مجمع البيان : ٢٥/٢.

[٥] القصص : ٢٧.

[٦] القصص : ٢٩.

[٧] ينظر شرح الاصول الخمسة : ٥٢٢.

[٨] الانعام : ٦٠.

[٩] مجمع البيان : ٧/ ٣١٢.

[١٠] الاحزاب : ٢٣.

[١١] بصائر ذوي التمييز : ٢٧٨/٤.

[١٢] معاني الحروف : ١٠٨.

[١٣] القصص : ١٥.

[١٤] ينظر الكشاف : ١٦٨/٣ .

[١٥] الزخرف : ٧٧.

[١٦] ينظر الكشاف : ٣/ ٤٩٦.

[١٧] ينظر معجم مفردات الفاظ القران : ٤٢١.

[١٨] ينظر العين : ٥/ ١١٢-١١٣ ومعجم مقاييس اللغة :٦٣/٥ وكتاب الافعال لابن القطاع :٣٩/٣-٤٠ ولسان ـــ

[١٩] القدر : ١.

وعظم الشان، من قولهم : رجل له قدر عند الناس أي منزلة وشرف "[١] بدلالة الايات اللاحقة . ففي قوله تعالى : "وما ادراك ما ليلة القدر "[٢] تعجيب، لاظهار خطر هذه الليلة المباركة وحرمتها، وفي قوله تعالى :" ليلة القدر خير من الف شهر"، وفي قوله تعالى :" تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر "، وفي قوله تعالى :" سلام هي حتى مطلع الفجر " يظهر شرف هذه الليلة وفضلها على سائر الليالي، اذ انها خير من الف شهر وتتنزل فيها الملائكة وجبرائيل، وهي سلام وسلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان، وتمتد بالبركة والفضيلة الى وقت طلوع الفجر[٣]، فالسياق في السورة المباركة يدل على ان معنى القدر هو الشرف والفضل والعظمة .

٢- بمعنى التضييق : في قوله تعالى :" الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر "[٤] جاء الفعل – يقدر –

* بمعنى يضيّق، يؤيد ذلك السياق، والفعل – يبسط – في صدر الاية الكريمة، أي ان الله – جل وعلا – " يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على اخرين اذا كانت المصلحة في التضييق "[٥]

*جاء في معاني القران للفراء ٢/ ٦٢-٦٣ " ويقدر - أي يقدر ويقتر - ويقال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له في ذلك، أي يخير له . قال ابن عباس : ان الله عز وجل خلق الخلق وهو بهم عالم، فجعل الغنى لبعضهم صلاحا، فذلك الخيار " وجاء في هامش معاني القران : ٦٣/٢ " يقال : اخار الله لك في الامر : جعل لك الخير فيه " وفي قوله تعالى :" لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا "[٦] جاء – قدر عليه رزقه – أي ضيق عليه و " المعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك "[٧] وفي قوله تعالى :" فظن ان لن نقدر عليه "[٨] " أي لن نضيّق عليه "[٩] بمعنى التزيين وتحسين الصورة : في قوله تعالى :" فقدرنا فنعم القادرون "[١٠] جاء قدرنا – بمعنى صورنا فنعم المصورون[١١] بدلالة الايات السابقة، في قوله تعالى:" الم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * الى قدر معلوم "[١٢] أي " خلق الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات "[١٣] فجاءت صورة كل حيوان وشكله وهيئته على إحكام واتساق على وفق ما يصلحه[١٤] وفي قوله تعالى :" والذي قدّر فهدى "[١٥] أي صوّر وزيّن وحسّن من التقدير والموازنة والتناسق[١٦]

---

[١] مجمع البيان : ٥١٨/٣.

[٢] القدر : ٢.

[٣] ينظر الكشاف : ٢٧٣/٤ ومجمع البيان : ٥٢١/٣ والخزانة اللغوية : ٣٩٧.

[٤] الرعد : ٢٦.

[٥] مجمع البيان : ١٣ / ٢٩.

[٦] الطلاق : ٧.

[٧] مجمع البيان : ٣٠٥/٢٨.

[٨] الانبياء : ٨٧.

[٩] مجمع البيان : ٦/١٧. وينظر بصائر ذوي التمييز :٤/ ٢٤٣.

[١٠] المرسلات : ٢٣.

[١١] ينظر بصائر ذوي التمييز ٢٤٤/٤.

[١٢] المرسلات : ٢٠ -٢٢.

[١٣] مجمع البيان : ٤٧٤/٣.

[١٤] ينظر الكشاف : ٢٤٣/٤.

[١٥] الاعلى : ٣.

[١٦] ينظر البحر المحيط : ٤٧٤/٣ وبصائر ذوي التمييز : ٢٤٤/٤.

٢- بمعنى الجعل والصنع : في قوله تعالى :" هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل "[١] أي جعل له منازل[٢] وفي قوله تعالى :" والقمر قدرناه منازل "[٣] أي جعلنا مسيره منازل وهنا " لابد في – قدرناه منازل – من تقدير مضاف لانه لامعنى لتقدير نفس القمر منازل، والمعنى :قدرنا مسيرة منازل"[٤] وفي قوله تعالى:"وخلق كل شيء فقدره تقديرا "[٥] أي جعله وصنعه "على ما اقتضته الحكمة "[٦] وفي قوله تعالى :" وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها "[٧] أي جعل " في كل بلدة منها ما لم يجعله في اخرى "[٨] لكي " يتعايشوا ويتَجروا "[٩] .

٣-بمعنى العلم : في قوله تعالى :" ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار "[١٠] جاء الفعل – يقدر – مسندا الى الله – عز وجل –" بمعنى يعلم"[١١]، أي انه وحده – جل وعلا – " يعلم مقادير الليل والنهار"[١٢] من ذلك جاء " تقديم اسمه –عز وجل– مبتدأ مبنيا عليه، يقدر، هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير : والمعنى : انكم لاتقدرون عليه "[١٣]

٤ بمعنى القدرة والقوة : في قوله تعالى : " ايحسب ان لن يقدر عليه احد "[١٤] دل فعل القدرة على القوة . أي ايحسب ان لن يقوى عليه احد[١٥] وفي قوله تعالى :" لله ملك السماوات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير "[١٦] أي انه قوي وقادر على كل شيء . وفي قوله تعالى :" قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم"[١٧] جاء القادر بمعنى القوي القاهر، من سياق الاية الكريمة، وبدلالة الايات السابقة، في قوله تعالى :" وهو القاهر فوق عباده "[١٨] وفي قوله تعالى :" وعنده مفاتح الغيب "[١٩] وفي قوله تعالى :" قل من ينجيكم من ظلمات البر

---

[١] يونس : ٥.

[٢] بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٤٤.

[٣] يس : ٣٩.

[٤] الكشاف : ٣/٨١.

[٥] الفرقان : ٢.

[٦] مجمع البيان : ١٨/ ١٦٠.

[٧] فصلت : ١٠.

[٨] مجمع البيان : ٢٤/٤.

[٩] معاني القرآن لفراء : ٣/١٢.

[١٠] المزمل : ٢٠.

[١١] بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٤٤.

[١٢] مجمع البيان : ٢٩ /٣٨١.

[١٣] الكشاف : ٤/١٧٨ – ١٧٩.

[١٤] البلد :٥.

[١٥] ينظر بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٤٤.

[١٦] المائدة : ١٢٠.

[١٧] الانعام :٦٥.

[١٨] الانعام : ٦١.

[١٩] الانعام : ٥٩.

والبحر"[١] وفي قوله تعالى :" قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب "[٢] وفي قوله تعالى :" وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار "[٣] وفيها نجد السياق يؤيد معنى القوة والقدرة والتمكن لله -جل وعلا- من ذلك جاء تقديم الضمير-هو- الدال على الذات الالهية في قوله تعالى " هو القادر " للاختصاص، أي ان القدرة المطلقة والقوة الغالبة له وحده-جل ثناؤه -

٥-بمعنى الإحكام : في قوله تعالى: "وقدر في السرد "[٤] جاء الفعل - قدر - بمعنى الاحكام والاتقان[٥]، أي احكم وعدل في نسج الدروع، ولاتجعل مسمار الدرع دقيقا فيقلق، ولا غليظا فيكسر الحَلَق، وقيل السرد المسامير التي في حلَق الدروع[٦].

٦-بمعنى المعرفة والادراك : في قوله تعالى :" وما قدروا الله حق قدره "[٧] أي " ما عرفوا كنهه، تنبيها انه كيف يمكنهم ان يدركوا كنهه وهذا وصفه "[٨] وقيل " أي ما عظموه حق عظمته "[٩] وقيل " وما عظموه كنه تعظيمه"[١٠] والمعنيان متعاضدان، فالذي لا يدرك كنهه - جل وعلا - لا يعظمه حق عظمته، والذي لا يعظمه لايدرك كنهه.

٧-بمعنى البيان والاخبار : في قوله تعالى :" الا امرأته قدرناها من الغابرين "[١١] قدرناها : أي بينا واخبرنا بانها من الغابرين[١٢]

٨- بمعنى الوقوع والقضاء : في قوله تعالى " ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا "[١٣] جاء - قدرا مقدورا - بمعنى " قضاء مقضيا وحكما مبتوتا "[١٤] أي " كان ما ينزله الله على انبيائه من الامر الذي يريده قضاء مقضيا "[١٥] قد تقرر ووقع " اشارة الى ما سبق به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ "[١٦].

٩ بمعنى المقدار : في قوله تعالى :" فجعلناه في قرار مكين * الى قدر معلوم "[١٧] الى قدر، أي الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر او ما دونها او ما فوقها "[١٨].

---

[١] الانعام : ٦٣.

[٢] الانعام : ٦٤.

[٣] الانعام : ٦٠.

[٤] سبا : ١١.

[٥] ينظر معجم مفردات الفاظ القران : ٤١١ وبصائر ذوي التمييز : ٤/٢٤٦.

[٦] ينظر معاني القران للفراء : ٢/٣٥٦ والكشاف : ٣/٢٨٢ ومجمع البيان : ٢٢/٣٨١.

[٧] الزمر : ٦٧.

[٨] معجم مفردات الفاظ القران : ٤١١ وينظر بصائر ذوي التمييز : ٤/ ٢٤٦.

[٩] مجمع البيان :٣/٥١٨ وينظر الحجة للقراء : ٣٩٦.

[١٠] الكشاف :٣/ ٤٠٨ وينظر القاموس المحيط : ٢/١١٨.

[١١] النمل : ٥٧.

[١٢] ينظر شرح الاصول الخمسة : ٥٢٢ وكشف المراد : ٨٨.

[١٣] الاحزاب :٣٨.

[١٤] الكشاف : ٣/٢٦٤.

[١٥] مجمع البيان : ٢٢/ ٣٦١.

[١٦] معجم مفردات الفاظ القران : ٤١..

[١٧] الكشاف : ٤ / ٢،٣.

[١٨] ينظر حوار بين الاهيين والماديين : ٣١٣ والصفات الالهية : ٣١٧.

اقسام القضاء والقدر

يعد القضاء والقدر من اقدم المباحث عند علماء الاسلام، بل هما من الاصول الاسلامية في الكتاب والسنة . وقد تناولهما ائمة اهل البيت (ع) بالبحث والتفصيل، لاهميتهما في توضيح اصول الدين، وبخاصة التوحيد والعدالة الالهية، ولما لهما من صلة وثيقة بمسالة الجبر والتفويض، فقد استفاضت الروايات عن الائمة الكرام(ع) انهم قالوا ((لا جبر ولاتفويض بل امر بين امرين))[١] فقد بين الامام علي(ع) معنى القضاء والقدر وشرحهما شرحا وافيا في حديث الاصبغ بن نباته لما انصرف من صفين، اذ ظن الاصبغ ان لا اجر له ولا ثواب عندما قال :عند الله احتسب عنائي ما ارى لي من الاجر شيئا، ما دام القضاء و القدر ساقانا في مسيرنا الى الشام . فقال له الامام علي (ع) " ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهي، ولم تات لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسيء ولا المسيء اولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الاوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور واهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله امر تخييرا، ونهى تحذيرا، وكلف يسيرا، لم يُعص مغلوبا، ولم يُطع مكرها* ولم يرسل الرسل عبثا ولم يخلق السماوات والارض وما بينهما باطلا، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار))[٢] وان هذه الشبهة التي جاءت في حديث الاصبغ بن نباته، وحيرته في القضاء والقدر، لم تزل عالقة باذهان الاجيال اللاحقة، فقد ابدى الحسن بن ابي الحسن البصري حيرته، عندما كتب الى الامام الحسن بن علي (عليهما السلام): اما بعد كتبت اليك يابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة، فاخبرنا بالذي عليه رايك وراي ابائك (عليهم السلام) فاجابه الحسن (ع) ((بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الي كتابك ... اما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، ان الله يعلمه فقد كفر، ومن احال المعاصي على الله فقد فجر، ان الله لم يطع مكرها، ولم يعص مغلوبا ولم يهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما عليه اقدرهم، بل امرهم تخييرا ونهاهم تحذيرا، فان ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صادا وان انتهوا الى معصية فشاء ان يمن عليهم بان يحول بينها وبينهم فعل، وان لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبرا،ولا أُلزموها كرها، بل منّ عليهم بان بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم وامرهم ونهاهم))[٣] وتوالت النصوص في هذا المعنى عن ائمة اهل البيت(ع) وهم يشرحون العقيدة الصحيحة، ويردون الانحرافات والوهم الذي خايل اذهان بعض الناس، فعن الامام الرضا(ع)، قال ((...ان الله عز وجل لم يُطع باكراه، ولم يُعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، وهو المالك لما ملّكهم والقادر على ما اقدرهم عليه، فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا، وان ائتمروا بمعصية فشاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل، وان لم يحُل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه))[٤] وهنا نجتزيء بتلك النصوص -وغيرها كثير- اشفاقا من الاطالة، ونذكر وجهي القضاء في القران الكريم، فقد جاء على وجهين:[٥] الهي وبشري، وجاء كل وجه منهما- من حيث اسناده الى فاعله- على وجهين : بالقول وبالفعل، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الاتي :

---

[١] كشف المراد : ٩٠ -٩١ .

* جاء في الميزان : ١/ ١٠١ " لم يعص مغلوبا : أي لم يعص والحال ان عاصيه مغلوب باجبر . ولم يطع مكرها : أي ولم يطع والحال ان طوعه مكروه لمطيع "

[٢] معجم مفردات الفاظ القران : ٤١٠.

[٤] ينظر تحف العقول : ١٦٤.

[٥] التوحيد : باب ٥٩/ح٧ عن تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي : ٧٧٥.

[٦] ينظر معجم مفردات الفاظ القران : ٤٢٠.

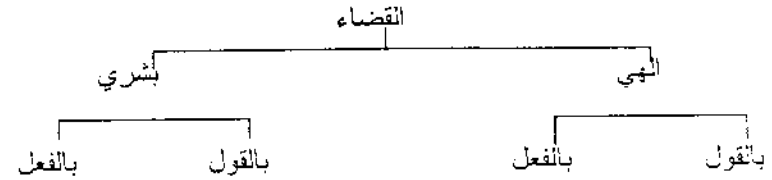

فمن القول الالهي، قوله تعالى :" وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه " أي امر ومن الفعل الالهي، قوله تعالى :"فقضاهن سبع سماوات في يومين " أي خلقهن، ومن القول البشري قوله تعالى :"الا حاجة في نفس يعقوب قضاها " ومن الفعل البشري، قوله تعالى :" فاذا قضيتم مناسككم " اما القضاء الالهي، فهو على ثلاثة اقسام [١]:

الاول : قضاء الله الذي لم يطلع عليه احدا من خلقه، والعلم المخزون الذي استاثر به لنفسه .

الثاني : قضاء الله الذي اخبر نبيه وملائكته بانه سيقع حتما .

الثالث : قضاء الله الذي اخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج، الا انه موقوف على ان لا تتعلق مشيئة الله بخلافه. وتندفع كل الشبهات العالقة بالاذهان من خلال بيان الاصناف الثلاثة للقضاء والقدر [٢])

١- القضاء والقدر، السنن الكونية : عبارة عن النظام السائد في العالم والانسان، فالله – سبحانه - قدر وحتم احراق النار، وتبريد الماء الى غير ذلك من السنن التي كشفها الانسان طيلة وجوده على هذه البسيطة، فكلها من مظاهر القضاء والقدر، فكل من اعتنى بصحته فالمقدر في حقه هو السلامة، ومن كان على خلافه فالمقضي في حقه المرض ... فالسنن الكونية و ((التاريخية لا تجري من فوق راس الانسان، بل تجري من تحت يده)) [٣] وقد بينها القران الكريم بلغة القضية الشرطية، في قوله تعالى :" ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم "[٤] وفي قوله تعالى :" وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا "[٥] وهذه الايات – وغيرها كثير في القران الكريم – تؤكد ان " هناك مواقف ايجابية للانسان تمثل حريته واختياره وتصميمه "[٦]

٢ - القضاء والقدر التكوينيان : وعنهما تكون افعال الانسان على قسمين :

ا – قسم فرض عليه صدوره اضطرارا كالاعمال التي يقوم بها جهاز الهضم، وهذا النوع من الفعل وان كان ضروري الوجود خارجا عن الاختيار، لكنه ليس ملاكا للثواب والعقاب .

ب - وقسم منه قضي عليه ان يصدر عنه بالاختيار، فالله – سبحانه – قدر فعله وقضى عليه بالوجود، ولكن مسبوقا باختياره .

٣ القضاء والقدر، علمه السابق ومشيئته النافذة : القضاء والقدر بهذا المعنى ليس شيئا الا تعلق علمه - سبحانه - بافعال الانسان ووقوعها في اطار مشيئته، فربما يتخذ علمه السابق ومشيئته ذريعة للجبر، وبالتالي نفيا للعدل، أي يتوهم الجبر عندما يتصور إن علمه السابق موجب للإلجاء .

---

[١] ينظر البيان للامام الخوئي : ٤٠٧ – ٤٠٨.

[٢] ينظر مفاهيم القران : ١/ ٥٩ –٦٠.

[٣] المدرسة القرانية : ١٠٥.

[٤] الرعد : ١١.

[٥] الجن : ١٦.

[٦] المدرسة القرانية : ٨٤.

الخاتمة

لقد تناول العلماء –من مفسرين واصوليين وفلاسفة ... – القضاء والقدر في ابواب واسعة في كتبهم، واضاؤوا جوانب مهمة للقضاء والقدر في النص القراني، لكنهم لم يستقروا دلالاته في القران الكريم، فعمدت في هذا البحث – على تواضعه – لاستقراء دلالات القضاء والقدر في التنزيل .

ويمكن اجمال ما توصل اليه البحث بما ياتي :

١- استقراء دلالات ومعاني القضاء والقدر في القران الكريم :

ا- فقد خرج القضاء الى تسعة معان هي : الامر والحكم – الاعلام والاخبار – الخلق والايجاد – الفصل – الفراغ والتادية – الفعل والصنع الوقوع الاتمام والاكمال – والموت والقتل .

ب – وخرج القدر الى احد عشر معنى هي : الشرف والعظمة – التضييق – التزيين وتحسين الصورة الجعل والصنع – العلم – القدرة والقوة – الإحكام – المعرفة والادراك – البيان والاخبار – الوقوع والقضاء – والمقدار.

٢- تبيين وجهي القضاء في القران الكريم، فقد جاء على وجهين : الهي وبشري وجاء كل وجه منهما من حيث اسناده الى فاعله على وجهين : بالقوم وبالفعل .

٣- دفع الشبهات العالقة بالاذهان، من خلال بيان اصناف القضاء والقدر وهي : السنن الكونيه / القضاء والقدر التكوينان / علمه السابق ومشيئته النافذة .

٤- رد الانحرافات، ودفع الوهم الذي خايل اذهان بعض الناس بسبب عدم فهم القضاء والقدر، بذكر الروايات والنصوص عن ائمة اهل البيت (ع) هذه اهم النتائج التي توصل اليها البحث عُرضت بايجاز.

واخر دعوانا ان الحمد الله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين .

المصادر والمراجع

* القران الكريم

١- اعراب القران للنحاس . تحقيق د- زهير غازي زاهد . مطبعة العاني / بغداد ١٩٧٧-١٩٧٨ م

٢- الاضداد في اللغة . محمد حسين ال ياسين . الطبعة الاولى ١٩٧٤ م بغداد

٣- بدائع الفوائد . لشيخ الاسلام ابي عبد الله المشتهر بابن قيم الجوزية ت ٧٥١ هـ بيروت / لبنان

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تاليف مجد الدين الفيروز ابادي تحقيق محمد علي النجار [illegible] ١٩٦٩ م

٥- البيان في تفسير القران للامام الخوئي / مطبعة العمال المركزية / بغداد ١٩٨٩ م.

٦- تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي / تاليف صائب عبد الحميد – مركز الغدير للدراسات الاسلامية . الطبعة الاولى [illegible]

٧- تحف العقول عن ال الرسول . الفه الشيخ ابو الحسن بن علي الحراني من اعلام القرن الرابع الطبعة الاولى [illegible]

٨- تفسير التبيان للشيخ الطوسي . صححه ورتبه وعلق حواشيه، احمد شوقي الامين واحمد حبيب قصير – [illegible]

٩- حوار بين الالهيين والماديين . بقلم الاستاذ الحجة الدكتور محمد الصادقي – منشورات مكتب الصادق – [illegible]

١٠- الخزانة اللغوية الموسعة والدليل اللغوي للكتب الاربعة . تاليف رؤوف جمال الدين – الطبعة الاولى [illegible] الاشرف .

١١- دراسة في الادوات النحوية : د- مصطفى النحاس – الطبعة الاولى ١٩٧٩ م الكويت .

١٢- دور الكلمة في اللغة : تاليف ستيفن اولمان، ترجمة وقدم له وعلق عليه، د- كمال محمد بشر – [illegible]

١٣- شرح الاصول الخمسة : لقاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمداني الاسد ابادي (ت ٤١٥ هـ) [illegible] ابي هاشم، طبعة جديدة اعتنى بها الاستاذ سمير مصطفى رباب الطبعة الاولى – بيروت [illegible]

١٤- الصاحبي في فقه وسنن العرب في كلامها : ابو الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) حققه وقدم له مصطفى الشويمي - بيروت ١٩٦٤ م

١٥- العين : لابى عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي : تحقيق د- مهدي المخزومي و د- ابراهيم السامرائي - بغداد ١٩٨٠ - ١٩٨٥ م .

١٦- فقه اللغة وخصائص العربية : تاليف محمد المبارك، الطبعة الرابعة ١٩٧. م بيروت

١٧- في ظلال القران : بقلم سيد قطب . الطبعة الخامسة ١٩٦٧

١٨- القاموس المحيط : تاليف مجد الدين الفيروز ابادي - الطبعة الثانية ١٩٥٢ م مطبعة البابي الحلبي بمصر

١٩- كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام ابي محمد بن حزم الظاهري - دار الندوة الجديدة - بيروت

٢٠- كتاب الافعال لابن القوطية، اشراف وتوجيه السيد علي راتب . تحقيق علي فودة، الطبعة الاولى - مصر ١٩٥٢ م

٢١- كتاب الافعال لابن القطاع - الطبعة الاولى ١٩٨٣ م بيروت

٢٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل لابي القاسم جار الله الزمخشري - دار الفكر - الطبعة الاولى ١٩٧٧ م

٢٣- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد تاليف العلامة الحلي - قدم له وعلق عليه الشيخ جعفر السبحاني - الطبعة الاولى - قم ١٣٧٥ هـ ش

٢٤- اللغة ج فندريس : تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص . مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠ م

٢٥- لطائف الاشارات للامام القشيري / تحقيق د. ابراهيم بسيوني - الطبعة الثانية ١٩٨١ مصر

٢٦ مجاز القران : صنعة ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، عارضه باصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين - الطبعة الثانية ١٩٧. - دار الفكر - مكتبة الخانجي .

٢٧- مجمع البيان في تفسير القران لابي الحسن الطبرسي / دار احياء التراث العربي / بيروت / لبنان ١٩٧٩ م

٢٨- محاضرات في العقيدة الاسلامية / الصفات الالهية ج ٢ تاليف احمد البهادلي / بغداد ١٩٩٩ م

٢٩ المدرسة القرانية / السنن التاريخية / محاضرات سماحة الامام الشهيد محمد باقر الصدر / دار الزهراء للطباعة / النجف الاشرف .

٣٠- معاني القران لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م

٣١- معاني الحروف : تاليف ابي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، تحقيق عبد الفتاح اسماعيل شلبي، مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٩٨٦

٣٢- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم . وضعه محمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث ١٩٨٨ م

٣٣ - المعجم الوسيط - قام باخراجه ابراهيم مصطفى واخرون واشرف على طبعه عبد السلام هارون - مطبعة مصر ١٩٦١

٣٤- معجم مفردات الفاظ القران للعلامة الراغب الاصفهاني - تحقيق نديم مرعشلي - مطبعة التقدم العربي ١٩٧٢ م

٣٥- معترك الاقران في اعجاز القران للسيوطي - ضبطه وصححه احمد شمس الدين - بيروت ١٩٨٨ م

٣٦- معجم مقاييس اللغة لابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا - تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون - دار الفكر ١٩٧٢ م

٣٧- مفاهيم القران : تاليف الشيخ جعفر السبحاني / ج١. الطبعة الاولى ١٤٢٠ هـ مؤسسة الامام الصادق - ايران - قم المقدسة

٣٨- الميزان في تفسير القران - للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي - بيروت - الطبعة الاولى المحققة ١٩٩٧ م